وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾.

التقوّل افتعال القول؛ لأن فيه تكلفًا[1] من المفتعل، وسمي الأقوال المتقوّلة أقاويل تصغيرًا بها وتحقيرًا. كقولك: الأعاجيب والأضاحيك كأنها جمع أفعولة من القول. والمعنى: ولو ادعى علينا شيئًا لم نقله لقتلناه صبرًا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلةً بالسخط والانتقام. فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته، وخص اليمين عن اليسار لأنّ القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه.

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾.

معنى: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ لأخذنا بيمينه.

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾.

كما أن قوله: ﴿لقطعنا منه الوتين﴾ لقطعنا وتينه وهذا بَيِّن، والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد إذا قطع مات صاحبه. وقرئ*: ولو تقول على البناء المفعول.

فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾.

قيل: ﴿حاجزين﴾ في وصف أحد لأنه في معنى الجماعة، وهو اسم يقع في النفي العام مستويًا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ومنه قوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾[2] ﴿لستن كأحد من النساء﴾. والضمير في عنه للقتل. أي: لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه. أو لرسول الله أي: لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس.

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وإنّا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ وهو إبعاد على التكذيب. وقيل: الخطاب للمسلمين. والمعنى: أن منهم ناسًا سيكفرون بالقرآن، وأنه الضمير للقرآن.

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾.

﴿لحسرة﴾ على الكافرين به المكذبين له إذا رأوا ثواب المصدّقين به أو للتكذيب.

وَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾.

وأن القرآن لليقين حق اليقين. كقولك: هو العالم حق العالم وجد العالم. والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين.

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾.

﴿فسبح﴾ اشبنكر اسمه العظيم. وهو قوله سبحانه الله واعبده شكرًا على ما أهلك له من إيحائه إليك. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ صورة الحاقة حاسبة الله حسابًا يسيرًا»[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المعارج مكية

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾.

ضمن سأل معنى دعا فدعى تعديته كأنه قيل: دعا داعٍ ﴿بعذاب واقع﴾ من قولك: دعا بكذا، إذا استدعى وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾[4] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو النضر بن الحرث، قال: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[5] وقيل: هو رسول الله ﷺ استعجل بعذاب.

لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾.

للكافرين، وقرئ*: سأل سائل: وهو على وجهين: إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش يقولون: سلت تسأل وهما بتسيلان، وإن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس: سال سيلاً، والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر. والمعنى: اندفع عليهم وادي عذاب فذهب بهم وأهلكهم. وعن قتادة: سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل، وبمن يقع فنزلت. وسأل على هذا الوجه مضمن معنى: عنى واهتم.

فإن قُلْتَ: بم يتصل قوله: ﴿للكافرين﴾؟ **قُلْتُ:** هو على القول الأوّل متصل بعذاب صفة له، أي: بعذاب واقع كائن للكافرين، أو بالفعل أي: دعا للكافرين بعذاب واقع، أو بواقع أي: بعذاب نازل لأجلهم. وعلى الثاني هو كلام مبتدأ جواب للسائل، أي: هو للكافرين.

فإن قُلْتَ: فقوله: ﴿من الله﴾ بم يتصل؟ **قُلْتُ:** يتصل بواقع، أي: واقع من عنده، أو بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه.

مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾.

﴿ذي المعارج﴾ ذي المصاعد، جمع معرج. ثم وصف

---

(1) قال أحمد: وبناء أفعولة من القول، وهو معتل كما ترى غيب عن القياس التصريفي، ويحتمل أن تكون الأقاويل جمع الجمع، كالأناعيم جمع أقوال وأنعام وهو الظاهر، والله أعلم.

(2) سورة البقرة، الآية: 285.

(3) ابن مردويه الثعلبي والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/85.

(4) سورة صٓ، الآية: 51.

(5) سورة الأنفال، الآية: 32.

المصاعد وبعد مداها في العلوّ والارتفاع. فقال:

تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾.

﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ إلى عرشه وحيث تهبط منه أوامره **﴿في يوم كان مقداره﴾** كمقدار مدّة **﴿خمسين ألف سنة﴾** مما بعد الناس. والروح جبريل عليه السلام أفرده لتمييزه بفضله. وقيل: الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أنّ الملائكة حفظة على الناس.

فإن قُلْتَ: بم يتعلق قوله:

فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾.

﴿فاصبر﴾! قُلْتُ: بسائل سائل لأنّ استعجال النصر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ فأمر بالصبر عليه، وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو، فإنما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة. ومن قرأ: سأل سائل أو سيل، فمعناه: جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع، أي: يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة. إما أن يكون استطالة له لشدّته على الكفار، وإما لأنه على الحقيقة كذلك. قيل: فيه خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة وما قدّر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر. الضمير في.

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾.

﴿يرونه﴾ للعذاب الواقع أو ليوم القيامة فيمن علق في يوم بواقع، أي: يستبعدونه على جهة الإحالة.

وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾.

﴿و﴾ نحن **﴿نراه قريبًا﴾** هينًا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر. فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان، وبالقريب القريب منه. نصب.

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾.

﴿يوم تكون﴾ بقريبًا، أي: يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم، أو بإضمار يقع لدلالة واقع عليه، أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت، أو هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع. **﴿كالمهل﴾** كدردى الزيت، وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلوّنها.

وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾.

﴿كالعهن﴾ كالصوف المصبوغ ألوانًا، لأنّ الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيّرته الريح.

وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾.

﴿ولا يسأل حميم حميمًا﴾ أي: لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لأنّ بكل أحد ما يشغله عن المساءلة.

يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾.

﴿يبصرونهم﴾ أي: يبصر الإحماء الإحماء فلا يخفون عليهم[1] فما يمنعهم من المساءلة أن بعضهم لا يبصر بعضًا، وإنما يمنعهم التشاغل. وقرئ: يبصرونهم وقرئ: ولا يسئل على البناء للمفعول، أي: لا يقال: الحميم أين حميمك ولا يطلب منه لأنهم يبصرونهم فلا يحتاجون إلى السؤال والطلب.

فإن قُلْتَ: ما موقع **﴿يبصرونهم﴾؟ قُلْتُ:** هو كلام مستأنف كأنه لما قال: ولا يسأل حميم حميمًا قيل: لعله لا يبصره؟ فقيل: يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم.

فإن قُلْتَ: لم جمع الضميران في يبصرونهم وهما للحميمين؟ **قُلْتُ:** المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين، ويجوز أن يكون يبصرونهم صفةً أي: حميمًا مبصرين معرّفين إياهم. قرئ: يومئذ بالجرّ والفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن، ومن عذاب يومئذٍ بتنوين عذاب ونصب يومئذٍ وانتصابه بعذاب لأنه في معنى تعذيب.

وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾.

﴿وفصيلته﴾ عشيرته، الأدنون الذين فصل عنهم. **﴿تؤويه﴾** تضمه انتماءً إليها أو لياذًا بها في النوائب.

وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾.

﴿وينجيه﴾ عطف على يفتدى، أي: يودّ لو يفتدى، لو ينجيه الافتداء أو من في الأرض، وثم لاستبعاد الإنجاء، يعني: تمنى لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده وبدلهم في فداء نفسه، ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه.

كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾.

﴿كلا﴾ ردّ للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب، ثم قال: **﴿إنها﴾** والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لأنّ ذكر العذاب دل عليها، ويجوز أن يكون ضميرًا مبهمًا ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة. **﴿لظى﴾** علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب، ويجوز

---

(١) قال أحمد: وفيه دليل على أنّ الفاعل والمفعول الواقعين في سياق النفي يعمّ، كما التزم في: والله لا أشرب ماء من إداوة أنه عام في الميه والأدوات، خلافاً لبعضهم في الأدوات.

أن يراد اللهب.

نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾.

﴿نزاعة﴾ خبر بعد خبر لأنّ أو خبر للظى إن كانت الهاء ضمير القصة، أو صفةٌ له إن أردت اللهب والتأنيث لأنه في معنى النار أو رفع على التهويل، أي: هي نزاعة. وقرئ: نزاعةً بالنصب على الحال المؤكدة، أو على أنها متظليةً نزاعّة، أو على الاختصاص للتهويل. والشوى الأطراف أو جمع شواة، وهي جلدة الرأس تنزعها نزعًا فتبتكها ثم تعاد.

تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾.

﴿تدعو﴾ مجاز عن إحضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم، ونحوه قول ذي الرمّة: تدعو أنفة الريب، وقوله: ليالي اللهو يطيني فأتبعه. وقول أبي النجم: تقول للرائد أعشبت أنزل، وقيل: تقول لهم: إليّ إليّ يا كافر يا منافق. وقيل: تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح، ثم تلتقطهم التقاط الحب. فيجوز أن يخلق الله فيها كلامًا كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه في الشجرة، ويجوز أن يكون دعاء الزبانية، وقيل: تذعر تهلك، من قول العرب: دعاك الله، أي: أهلكك. قال دعاك الله من رجل بأفعى ﴿من أدبر﴾ عن الحق ﴿وتولى﴾ عنه.

وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾.

﴿وجمع﴾ المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤدِّ الزكاة والحقوق الواجبة فيه، وتشاغل به عن الدين، وزهى باقتنائه وتكبر. أريد بالإنسان الناس فلذلك استثنى منه إلا المصلين.

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾.

والهلع سرعة الجزع عند مسّ المكروه، وسرعة المنع عند مسّ الخير من قولهم: ناقة هلواع سريعة السير. وعن أحمد بن يحيى: قال لي محمد بن عبد الله بن ظاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره.

إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾.

وهو الذي إذا ناله شرًا أظهره شدّة الجزع.

وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾.

وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس. والخير المال والغنى والشرّ الفقر، أو الصحة والمرض. إذا صحّ الغني منع منه المعروف وشحّ بماله، وإذا مرض جزع وأخذ يوصي والمعنى: أن الإنسان لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه[1] مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري. كقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾[2] والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع، ولأنه ذمّ والله لا يذمّ فعله، والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره، وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين، وعن النبي ﷺ: «شرّ ما أعطى ابن آدم شحّ هالع وجبن خالع»[3].

فإن قُلْتَ: كيف؟ قال:

ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾.

﴿على صلواتهم دائمون﴾ ثم على صلاتهم يحافظون؟ **قُلْتُ:** معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل[4]. كما روي عن النبي ﷺ: «أفضل العمل أدومه وإن قل»[5]. وقول عائشة: كان عمله ديمة[6]. ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسنتها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم. فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها.

وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾.

﴿حق معلوم﴾ هو الزكاة لأنها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤدّيها في أوقات معلومة.

لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾.

﴿والمحروم﴾ الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيًا فيحرم.

---

(1) قال أحمد: هو يشرك باطناً وينزه ظاهراً، فينفي كون الهلع الذي هو موجود للآدمي مخلوقاً لله تعالى تنزيهاً له عن ذلك، ويثبت خالقاً مع الله ويتغافل عن اقتضاء نظم الآية، لذلك فإنك إذا قلت: بريت القلم رقيقاً، فقد نسبت إليك الحال وهو ترقيقه، كما نسب إليك البري، وكذلك الآية، وإنما قوله: والله لا يذمّ خلقه، فالله تعالى له الحمد على كل حال، وإنما المذموم العبد، بحجة أنه جعل فيه اختياراً يفرّق به بالضرورة بين الاختيارات والقسريات، الا لله الحجة البالغة، والله أعلم.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 37.

(3) أخرجه ابن حبان في كتاب الزكاة، باب الوعيد لمانع الزكاة (الحديث رقم: 3250)، وأخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في = الجراة والجبن (الحديث رقم: 2511)، وأحمد في المسند 2/320.

(4) قال أحمد: حفظها من الإحباط نص عند أهل السنة على حفظها من الكفر خاصة، فلا يحبط ما سواه خلافاً للقدرية، وقد تقدّمت أمثاله، والله أعلم.

(5) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق باب: القصد والمداومة على العمل (الحديث رقم: 6461)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (الحديث رقم: 216 ـ 782).

(6) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق باب: القصد والمداومة على العمل (الحديث رقم: 6466)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها باب: فضيلة العمل الدائم (الحديث رقم: 217 ـ 783).

وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾.

﴿يصدقون بيوم الدين﴾ تصديقًا باعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم. واعترض بقوله:

إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾.

﴿إن عذاب ربهم غير مامون﴾ أي: لا ينبغي لاحد وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد أن يأمنه، وينبغي أن يكون مترجحًا بين الخوف والرجاء.

وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾.

قرئ: بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة في جملة الأمانات وخصها من بينها إبانة لفضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها في زيها تضييعها وإبطالها.

أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾.

كان المشركون يحتفون حول النبي ﷺ حلقًا حلقًا وفرقًا فرقًا يستمعون ويستهزؤون بكلامه ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت.

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾.

﴿مهطعين﴾ مسرعين نحوك، مادي أعناقهم إليك، مقبلين بأبصارهم عليك.

عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾.

﴿عزين﴾ فرقًا شتى، جمع عزة وأصلها عزوة. كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى فهم مفترقون. قال الكميت:

وندحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا

وقيل: كان المستهزؤون خمسة أرهط.

كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾.

﴿كلا﴾ ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة. ثم علل ذلك بقوله: **﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾** إلى آخر السورة. وهو كلام دال على إنكارهم البعث. فكأنه قال: كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء، فمن أين يطمعون في دخول الجنة.

فإن قُلْتَ: من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث؟ **قُلْتُ:** من حيث أنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل، وذلك قوله: خلقناهم مما يعلمون أي: من النطف، وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسًا خيرًا منهم، وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء والغرض أنّ من قدر على ذلك لم تعجزه الإعادة، ويجوز أن يراد إنا خلقناهم مما يعلمون. أي: من النطفة المذرة، وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه. ولذلك أبهم وأخفى إشعارًا بأنه منصب يستحيا من ذكره. فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم؟ ويقولون: لندخلن الجنة قبلهم. وقيل: معناه إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم، ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح، فلم يطمع أن يدخلها من ليس له إيمان وعمل.

فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾.

وقرئ: برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون، ومن الأجداث سراعًا بالإظهار والإدغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله.

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾.

﴿يوفضون﴾ يسرعون إلى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون إلى أنصابهم. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة سأل[1] سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة نوح مكية

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾.

﴿أن انذر﴾ أصله بأن انذر، فحذف الجار وأوصل الفعل، وهي أنّ الناصبة للفعل. والمعنى: أرسلناه بأن قلنا له: أنذر. أي: أرسلناه بالأمر بالإنظار. ويجوز أن تكون مفسرةً لأنّ الإرسال فيه معنى القول. وقرأ ابن مسعود: انذر بغير أن على إرادة القول.

أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾.

﴿أن اعبدوا﴾ نحو أن انذر في الوجهين.

فإن قُلْتَ: كيف؟ قال:

يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾.

﴿ويؤخركم﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل، وهل هذا إلا تناقض؟ **قُلْتُ:** قضى الله مثلاً أنّ قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة. فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى. أي: إلى وقت سماه الله وضربه أمدًا، أتنتهون إليه لا تتجاوزونه

(1) الثعلبي الواحدي ابن مردويه في تفاسيرهم، زيلعي 4/90.